ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Huda Hameed Naif

Dr . Thaer Abdul-Majeed Al-Azari

Wasit University/ College of Education for Human Scienc

Email:
gl1135@uowasit.edu.iq
alethary@uowasit.edu.iq

Keywords:

The Sufi Symbol, Sufi Literature, Descriptive Methodology.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 26.Jun.2023

Accepted 10.Oct .2023

Published 10.Aug. 2025

"The Sufi Symbol in Arabic Literature through the Efforts of Modernizers" A Study in Methodology

A B S T R A C T

Sufi literature has received a large number of studies that have come down to us, and they are studies with different curricula and different procedural tools, and these studies, even if they differed in their curricula and the way they dealt with the topics they dealt with, but they agreed on one fact, which is the richness of the Sufi heritage, its fertility and its ability to openness and renewal.

In this research, we chose one of the academic studies that dealt with the most important issues raised in Sufi literature, which is the Sufi symbol. In this study, we aspire to address the thesis of the researcher “Anas Majid Shakhouth "The Sufi Symbol in Arabic Literature through the Efforts of the Modernists", who highlighted in His dissertation focused on studies that dealt with the Sufi symbol among researchers and critics, adopting an approach based on exposition, description and criticism in addressing these studies.

The research dealt with the topic of the thesis; By examining its approach and how it is employed, and the extent of the researcher's commitment to applying this approach based on the procedures of the descriptive approach to the study of the Sufi text, especially the symbolic one; As the symbol paved the way for creating a creative text that is not devoid of originality and distinction.

It can be said: This study is a ripe fruit and a useful study, which is indispensable in the knowledge of Sufi literature, especially the symbolic aspect of it, that is the means that the Sufi relied on to preserve the conditions and places of the Sufis.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol60.Iss1.3653

الرّمز الصّوفيّ في الأدب العربيّ من خلال جهود المحدثين عرض وتحليل*

الباحثة: هدى حميد نايف أ.د. ثائر عبد المجيد العذاري
جامعة واسط ـ كلية التربيّة للعلوم الإنسانيّة

الملخص

حظي الأدب الصّوفي بعدد وافر من الدّراسات التي وصلت إلينا، وهي دراسات ذات مناهج مختلفة ، وأدوات إجرائيّة متباينة، و هذه الدّراسات حتى وان اختلفت في مناهجها وطريقة معالجتها للموضوعات التي تناولتها إلا أنها أجمعت على حقيقة واحدة هي ثراء التّراث الصّوفي وخصوبته وقدرته على الانفتاح والتّجدد.

وفي هذا البحث وقع اختيارنا على واحدة من الدّراسات الأكاديمية التي تناولت أهم المسائل التي أثيرت في الأدب الصّوفي، وهي الرّمز الصّوفي، إذ نطمح في دراستنا هذه لمعالجة أطروحة الباحث أنس ماجد شاخوذ "الرّمز الصّوفي في الأدب العربي من خلال جهود المحدثين" الذي سلّط الضّوء في أطروحته على الدّراسات التي تناولت الرّمز الصّوفيّ عند الباحثين والنّقاد، معتمدًا في معالجة تلك الدّراسات منهجًا مبنيًا على العرض والوصف والنّقد .

عالج البحث موضوع الأطروحة؛ من خلال النّظر في منهجها وكيفيّة توظيفه، ومدى التزام الباحث في تطبيق هذا المنهج اعتمادًا على إجراءات المنهج الوصفي لدراسة النّص الصّوفي ولا سيما الرّمزي منه؛ إذ إنَّ الرّمز أفسح المجال لخلق نصًا إبداعيًّا لا يخلو من الأصالة والتّميز.

يمكن القول: إنَّ هذه الدّراسة ثمرة يانعة ودراسة نافعة، لا يُستغنَى عنها في معرفة الأدب الصّوفي ولا سيمّا الجّانب الرّمزي منه، تلك الوسيلة التي اعتمدها الصّوفيّ للحفاظ على أحوال المتصوفة ومواجدهم.

الكلمات المفتاحية: الرمز الصّوفي، الأدب الصوفي ، المنهج الوصفي

المقدمة

وجد الصّوفيون في الرّمز وسيلة لتحقيق غايات نفعيّة لما يحمله من مميزات وإشارات لتغليف النّصّ بخصوصيّة تتناسب وما يسعى إليه المتصوفة.

تصدى هذا البحث لتسليط الضّوء على واحدة من أهم الدّراسات الأكاديمية التي تناولت الأدب الصّوفيّ ولا سيما الجّانب الرّمزي منه، وهذا ما حاولتُ الحديث عنه مستعينة بالمنهج الوصفي التّحليلي إذ إنني بحثت في الدّراسة نفسها، بعيدًا عن الاحتمالات المتكلفة، والتّأويلات البعيدة، وحاولت الكشف عن جهود الباحث وتلمس مواضع المآخذ والاجادة فيها؛ مما يمنح دراستنا صفة الموضوعيّة وخلق رؤيّة شموليّة قدر الامكان.

ومما يجدر الإشارة إليه أنّ مصادر البحث جاءت تتمحور حول دراسة الباحث نفسه مع بعض المصادر التي تناولت مناهج البحث العلمي، ولا سيما المنهج الوصفي الذي اعتمده الباحث في بناء اطروحته، إذ إنَّ مثل هذه الدّراسات تعتمد على الباحث نفسه وطريقته في التّعامل مع الدّراسة محطّ الاهتمام والبحث.

التمهيد:

***مفهوم المنهج:** عُرِف المنهج بأكثر من تعريف، يُقال (مَنهج) بفتح الميم، و (مِنهج) بكسرها، وهو في اللّغة العربيّة الطّريق الواضح). (ابراهيم أنيس، مادة نهج).

فالمنهج: يعرف بأنه "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة". (ابن منظور، مادة نهج)، والمنهج في أبسط تعريف له: "هو طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة". (الطاهر، ١٣).

و إنَّ أشهر تعريف للمنهج هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة". (عبد الرحمن بدوي، ٥).

***المنهج الوصفي:** يُعدّ من أبرز المناهج النّقديّة المستعملة في الدّراسات الأكاديميّة التي تساهم في التّعرف على ظاهرة الدّراسة، ووضعها في إطارها الصحيح، ويُعرّف هذا المنهج بأنّه: "طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجيّة علميّة صحيحة". (محمود الحيلة ، ٤٦).

ويُعَد أحد الأسس الرئيسة في البحث العلمي؛ إذ يشكِّل الخطوة الأولى التي يقوم بها الباحث عند دراسة ظاهرة ما، ويُعد من الوسائل الممكنة لدراسة الموضوعات المتعلقة بالإنسان الذي لا يَقْتَصِرُ على وصف الظّواهر أو الممارسات السّائدة، بل التّوصل إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في تفسير تلك الظّواهر وتمكين التّغيير والتّوجيه نحو أهداف محددة. (يُنظر: مقال صالح فياض، اذار ٢٠٢٠).

تُعنى البحوث الوصفيّة بتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الظّاهرة محطّ الاهتمام والدّراسة، وينبغي على الباحث اليي يوظّف المنهج الوصفيّ في دراسته أن يأخذ بنظر الاعتبار وصف الظّاهرة وصفًا علميًّا موضوعيًا بعد جمع بيانات ومعلومات كافية عنها، ويهتم ببيان خصائصِها والعوامل المؤثرة عليها من دون الاكتفاء بالملاحظات السّطحية، كل ذلك على وفق قيم ومعايير معينة تبعًا للظاهرة أو الدّراسة المراد البحث فيها. (محمود الحيلة، ٤٦).

يتميز المنهج الوصفي: "بطريقته الواقعية في التعامل مع مشكلة البحث، نظرًا لوجود الباحث في قلب الميدان أو المكان المتعلق بالدراسة". (مقال: المنهج الوصفي، تعريفه وخصائصه).

فعند دراسة ظاهرة على وفق المنهج الوصفي يقوم الباحث بتتبع هذه الظّاهرة ووصفها كما هي في الواقع ويعنى بتتبع بياناتها وجمع معلومات عنها والنّظر إلى العوامل المؤثرة فيها، وفي كل مرحلة تكون للباحث وقفات ورؤى حول الظّاهرة للوصول إلى نتائج وتعميمات وتحديد الأسباب والعوامل المؤثرة فيها، فضلًا عن إعطاء تعليمات تساعد في فهم الظّاهرة وتطويرها بعد توضيح النّتائج التي توصل إليها.

ومن أبرز العلماء في التّراث العربي ممّن اتبعوا المنهج الوصفي: "الطبري، والزهراوي، وابن إسحاق العبادي، وعلي بن عباس، وأبو سعيد الأصمعي". (مقال: محسن التاجر، ٣)، وهناك العديد من الدّراسات الصّوفيّة التي جاءت وفق المنهج الوصفي، سنتناول منها أطروحة دكتوراه للباحث أنس ماجد شاخوذ.

---

*"الرّمز الصّوفي في الأدب العربي من خلال جهود المحدثين"، أطروحة دكتوراه للباحث أنس ماجد شاحوذ علي، جامعة بغداد، كليّة الآداب، ٢٠١٥ بإشراف الأستاذ الدّكتور فليح كريم الرّكابي.

إنَّ لكل باحث في دراسته أهداف يسعى للوصول إليها وبلوغ نتائج ما بشأنها، ولعل هذه الدّراسة واحدة من الدّراسات التي تناولت موضوعًا مهمًا في الأدب الصّوفي، وأفضت إلى معالجة الرّمز الصّوفي من خلال الباحثين المحدثين على وفق خطة توزعت على عدد من المحاور فجاءت في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

عرضَ الباحث في مقدمته أهميّة الأدب الصّوفي وسبب اهتمام الباحثين بالنّص الصّوفي بشكل عام والرّمزي منه بشكل خاص، الوسيلة التي اعتمدها الصّوفي للحفاظ على أحوال المتصوفة ومواجدهم، وعرض فيها خطة الدّراسة.

أمّا التّمهيد فتناول الباحث فيه العلاقة بين (الرّمز والتّصوف والأدب) ومحاولة للجمع بينها، فجاء التّمهيد على قسمين، تناول الأوّل منه (الرّمز والتّصوف) في محاولة لعرض موجز لطبيعة العلاقة بين الرّمز والتّصوف أمّا القسم الثّاني جاء بعنوان (التّصوف والأدب) حاول الباحث فيه الحديث عن العلاقة بين التّصوف والأدب ثم خلُص إلى أنَّ طبيعة العلاقة بين التّصوف والأدب تمتاز بطابعها النّفعي، أيّ أنَّ التّصوف انتفع من الأدب في نشر مبادئه وأهدافه، وأغنى السّاحة الأدبيّة بمادته الإبداعيّة العميقة الغنيّة بمضمونها الفني. (يُنظر: ماجد شاحوذ، ١٤).

إنَّ هذا التّصور بيّن طبيعة العلاقة النفعيّة المتبادلة بين التّصوف والأدب، فكما إنَّ التّصوف وَجدَ أنَّ السّاحة الأدبيّة وسيلة لعرضِ أفكاره وأهدافه ومعتقداته، فأنّه في الوقت نفسه أغنى السّاحة الأدبيّة بمادة مهمّة وعميقة تتماز بمضمون رصين ومميز.

و تحدث الباحث في هذا القسم عن مسألة الإلهام، إذ حدد فكرته بقوله: " إنّ عملية الإلهام تتمحور جميعها بوجود قوة مُلهِمة غير مرئيّة تعمل على حشد طاقة كبيرة لدى المتصوف تعمل هذه الطّاقة على تغليب الجانب الروحي لتسمو النفس على كل الماديات". (ماجد شاحوذ، ١٨)، وانطلاقًا من هذا التّصور يقف الباحث على مسألة مهمّة هي (الإلهام عند المتصوفة) فالإلهام نظرية شعريّة قديمة قلّ من لا يقول بها تناولها الباحث انطلاقًا من قوله: بأنّ هناك قوة ملهمة غير مرئيّة تعمل على تغليب الجّانب الرّوحي وسمّوه عن الماديات، وهو فهم غير دقيق؛ فالجّانب الرّوحي رياضة عند الصّوفيين إلّا إذا اتصّل بالموهبة.

ويمكن اعتبار الإلهام عند الصّوفيّة من باب خوارق العلم ومن وحي إلهام الحقّ وهو نمط من التّأليف له خصوصيته وهو موضوع مهم جدير بالبحث لكن لسننا بصدد الحديث عنه في هذا المقام. (للاستزادة/ مقال: خالد التوزاني، مايو ٢٠١٥)، وهكذا يختم الباحث حديثه في التّمهيد محاولًا رسم صورة عن طبيعة التّداخل بين كلّ من الأدب والتّصوف والرّمز.

أمّا **الفصل الأوّل** الذي جاء بعنوان "عتبات البحث التعريفات والمفاهيم"، فيتضمن ثلاثة مباحث تناول في الأوّل منه "مفهوم الرّمز" بتقسيمات فرعيّة عرض فيها كل من المدلول اللّغوي، والمدلول الاصطلاحي للرمز، بحث فيه أصل مصطلح الرّمز والتّطور التّاريخي لمدلوله سواء عند العرب أو الغرب، وتناول "مفهوم الرّمزية" الذي كان مكملًا للمدلول الاصطلاحي بوصفه المذهب الأدبي للرمز، ثم ختم حديثه في هذا القسم بمجموعة من النّقاط بيَّن فيها خصائص المدرسة الرّمزيّة.

أمّا المبحث الثّاني فجاء الحديث فيه عن التّجربة الصّوفية بشكل عام، فجاء مقسمًا على خمسة عناوين فرعيّة، "مفهوم للتّصوف"، "إشكاليّة مصطلح التّصوف"، "التّصوف لغة واصطلاحًا"، "اشتقاق لفظة صوفي"، "مراحل التّصوف"، إلّا أنَّه يخلو من عنوان رئيس للمبحث، تحدّث في مفهوم التّصوف عن التّجربة الصّوفيّة محاولاً تتبُّع الموطن الأوّل الذي انبثق منه التّصوف، ثم بعد ذلك جاء الحديث عن إشكالية مصطلح التّصوف الذي تضمن الحديث فيه عن أمرين:

الأول: عدم وجود مرجعيّة لغويّة تحدد جذوره وتبسط مفهومه.

الثّاني: تعدد المفاهيم الاصطلاحيّة للتصوف، وقرن هذه التّعدديّة بكون التّجربة الصّوفيّة تجربة عالميّة وروحيّة. (يُنظر: ماجد شاحوذ، ٣٦).

وهو قول دقيق وضّح فيه الباحث إشكاليّة مصطلح التّصوف وخصوصيته وتفرّد التّجربة الصّوفيّة؛ كونها تجربة عميقة تنبع من الذّات والوجدان وغير متفق على ثباتيتها، ممّا أدى إلى تنوع مفاهيم التّصوف والاختلاف في وضع مفهوم ثابت لهذا المصطلح.

وبحث في أصل مصطلح التّصوف لغة واصطلاحًا، وتتبعَ الباحث أصل اشتقاق لفظة صوفي مستعرضًا في ذلك آراء النّقاد والباحثين وأوجه الخلاف بينهم في هذه المسألة، أمّا فيما يخص حديثه عن مراحل التّصوف فقد تحدّث عن ثلاثة مراحل (مرحلة الزّهد، مرحلة التّصوف، مرحلة امتزاج الفكر الصّوفي بالفلسفة)، وهو حديث عام اعتمد فيه الباحث على المنهج التّاريخي الذي يفيد في تفسير خصائص إتجاه أدبي معين، و يعين على فهم بواعث نشوء ظاهرة أدبيّة معينة على اختلاف ظروف نشأتها.

أمّا المبحث الثّالث والأخير من هذا الفصل فجاء مقسم إلى عناوين فرعيّة إلّا أنّه يخلو أيضًا من عنوان رئيس للمبحث، تضمن حديثه في هذا المبحث عن التطور الذي لحق المصطلح الصّوفي الأدبي، و تناول "لغة التّصوف" بعنوان فرعي عرض فيه ألفاظ الصّوفيّة ومصطلحاتهم التي شكّلت معاجم خاصّة بهم.

ويستمر الباحث في عرض وتوضيح كل ما يتعلق بالأدب الصّوفي إذ تناول بعنوان مستقل "أقسام الأدب الصّوفي" "النّثر الصّوفي"، و "الشّعر الصّوفي" تحدّث في القسم الأول منه عن أهميّة النّثر الصّوفي في المدونة النّثريّة العربيّة وكيفيّة نشأته وتطوره، و وقف على ألوان النّثر الصّوفي، مستعينًا بآراء الباحثين والدّارسين ومؤلفاتهم في الأدب الصّوفي لاسيما الجّانب النّثري منه.

فجاءت مصادره في هذا الجانب متنوعة نذكر منها: "الأدب في التّراث الصّوفي لمحمد منعم خفاجى، والتّصوف الإسلامي في اتجاهاته الأدبيّة لقيس كاظم الجنابي، وأطروحة الأستاذ الدّكتور فائز طه عمر التي جاءت بعنوان النّثر الصّوفي دراسة فنيّة تحليليّة" وغيرها من المصادر، وذكر الباحث أن تعدد استعمال المصادر في هذا الجانب كان بسبب اختلاف الباحثين في تناول ألوان النّثر الصّوفي إذ يقول: "ومن خلال اطلاعي على ألوان النثر الصوفي وجدت أن الباحثين لم يستقروا على تسمية تلك الألوان والاتفاق عليها" (ماجد شاحوذ، ٦٣).

ويقول في حديثه عن هذه الألوان: "ووجدت ولعلي لا أجانب الصواب – أن بعض هذه الألوان كان مفتعلاً ولا أجده مناسبًا مع موضوع التّصوف فموضوع الرثاء لا يتلاقى مع الحب الإلهي" (ماجد شاحوذ، ٦٣)، فقد بيّن الباحث بعد المسافة بين الرّثاء والحبّ، ولو أخذنا بنظر الاعتبار أهم ما يسعى إليه المتصوفة؟ لوجدنا أنّ حبّ الله والتّقرب إليه أو ما يسمى بالعشق الإلهي هو أهم ما يشغل المتصوفة، وبما أنّ موضوع الرّثاء يتنافى مع هذا المعنى فأنّ قول الباحث في هذا الحديث قول دقيق أعطى من خلاله صورة دقيقة عن هذين الفنين وأنّه يتماشى مع ما يسعى إليه الصّوفيين.

ثم جاء الحديث عن القسم الثّاني من الأدب الصّوفيّ وهو "الشّعر الصّوفي" الذي هو امتداد للشعر العربي تتبع الباحث أيضًا تاريخ نشأته والمراحل التي مرَّ بها عبرَ حقبة زمنيّة فتضمن حديثه خمس مراحل تتبع من خلالها بدايات الشّعر الصّوفي وتطوره بصورة موجزة، ثم عرض في المبحث ذاته أهم ألوان الشّعر الصّوافي متمثلًا في بداياته (بالحبِّ الإلهي، الفناء، والوصف)، مع الإشارة إلى الألوان الأخرى كالغزل والحكم والدّعاء والاستغاثة.

وهكذا ختم حديثه في هذا الفصل الذي ركّز فيه على أهميّة الرّمز عند الصّوفيّة ومستوى العلاقة بينهما الذي يحقّق غايات نفعيّة، فالصّوفي يجدّ في الرّمز وسيلة لتحقيق غايات نفعيّة لما يحمله من مميزات وإشارات لتغليف النّصّ بخصوصيّة تتناسب وما يسعى إليه المتصوفة.

وقد لحظنا في هذا الفصل استعمال الباحث عنوانات فرعيّة أسهمت بشكل كبير في ترتيب الأفكار وإغنائِها مع بيان الرؤى النّقديّة للباحث حول كل ضرب من ضروب الظاهرة التي يتحدث عنها، فكان لكل مبحث عنوانات فرعيّة يعرض فيها ما يتناسب وموضوع الدّراسة ممّا يجعل القارئ يربط بين فقرات البحث وتقسيماته، إلّا أنَّه لم يراع في هذا الفصل التوازن بين المباحث فقد كان المبحث الأول بعدد صفحات أقل من المبحث الثّاني ولم يراع الفارق بينه وبين المبحث الذي يليه وأنَّ هذا الفارق يزداد في المبحث الأخير من الفصل ممّا أحدث خلل في التّوازن بين المباحث، وبما أنّ من شروط البحث العلمي الأكاديمي مراعاة الفروق والتناسب بين الفصول والمباحث فكان الأجدار مراعاة الفوارق والالتزام بهذه المنهجية.

وجاء **الفصل الثّاني** بعنوان "الرّمز الصّوفي وفق الدّراسات العربيّة دراسة وصفيّة" استعرض الباحث فيه الدّراسات العربيّة التي تناولت الرّمز الصّوفي موزعًا هذه الدّراسات على ثلاثة مباحث جاء الأوّل منه بعنوان "الرّمز الصّوفي في المصادر الأدبيّة و النّقديّة" الذي قسمه إلى قسمين أيضًا يتضمن القسم الأول: المصادر التي جاء في عنوانِها ذكر الرّمز صريحًا تناول منها خمس مصادر هي: (الرّمز الشّعري عند الصّوفية للدكتور عاطف جودة، الرّمز الخمري بين أبي مدين الغوث وابن الفارض د شحادة خليل، المفهوم الرّمزي للخمر عند الصّوفيّة د حسن الفاتح قريب الله، جمالية الرّمز الصّوفي هيفرو محمد علي ديركي، الرّمز الصّوفي بين الاغراب بداهة والاغراب قصدًا، د أسماء خوالديه).

حاول الباحث خلال عرض هذه الدّراسات إعطاء وصف بشكل موجز مبينًا ما تحويه هذه الدّراسات في متونها.

أمّا القسم الثّاني تضمن المصادر التي جاء في عنوانِها ذكر الرّمز ضمنًا، وتناول في ذلك ثمان دراسات هي: (التّراث الأدبي للحلاج، د عبد الوهاب أمين أحمد، شعر عمر بن الفارض، د. عاطف حودة نصر، مجالس الأنس والفواة والهداة، د. حسن الفاتح قريب الله، النّثر الصّوفي دراسة فنيّة تحليليّة، د فائز طه عمر، الحبّ في التّصوف الإسلامي ابن عربي نموذجًا، د يحيى محمد راضي، فلسفة التّصوف في الشّعر الأندلسي، د. حميدة صالح البلداوي، في لغة القصيدة الصّوفيّة، د. محمد علي كندي، الشّعر والتّصوف، د ابراهيم محمد منصور).

ثم خلص إلى أنَّ هناك الكثير من المصادر التي تناولت الرّمز الصّوفي كرمز المرأة، ورمز الخمر، ورمز الطبيعة، ودراسات رصدت اللّغة وقصورها عن تلبية آفاق اللّغة الرّمزية الصّوفية، (يُنظر: ماجد شاحوذ،٩١)، وهنا يذكر الباحث أنَّ هناك دراسات أخرى تناولت الرّمز الصّوفي غير الدّراسات التي ذكرها، إلّا أنَّه لم يَشر إليها وكان بإمكانه الإشارة في الهامش حتى يتسنَّى للقارئ معرفتها أو الرجوع إليها، ولم يذكر في بداية حديثه آلية اختيار هذه الدّراسات فقد يتبادر في ذهن القارئ سؤال عند الاطلاع على هذه الدراسات، لِمَ اختار هذه الدّراسات من دون غيرها؟ هل اعتمد على تسلسل زمني؟ أم اختار الأشهر منها؟ فكان الأجدر أن يذكر الآلية التي اتبعها في اختيار نماذج الدّراسة.

وهكذا ذهب الباحث في حديثه عن الدّراسات التي تناولت الرّمز الصّوفي ملتزما منهجًا ثابتًا على وفق المنهج الوصفي في حديثه عن محتوى الدّراسة مع تعليقات موجزة يستخلص خلالِها محتوى الكتاب بشكل عام.

واستعرض الباحث في المبحث الثّاني من الفصل الثّاني الرّسائل والأطاريح الجّامعيّة التي تناولت الرّمز الصّوفي تحت عنوان: "الرّمز الصّوفي في الرّسائل الأطاريح الجّامعية" وجعله قسمين: تناول الأول: الرّسائل الجّامعيّة التي جاء في عنوانِها ذكر الرّمز الصّوفي صريحًا، إذ ذكر فيه أربع دراسات (رسائل ماجستير) هي:

(معالم الرّمزيّة في الشّعر الصّوفي، للباحثة نور سلمان، جماليّة الرّمز في الشّعر الصّوفي، للباحثة هدى فاطمة الزّهراء، جماليّة الرّمز في ديوان أبي مدين، للباحث حمزة حماد، تجليات الرّمز الصّوفي في ديوان الكبير لابن عربي، للباحث عبد الكريم صالحي).

أمّا القسم الثّاني جاء بعنوان: الرّسائل الجّامعيّة التي جاء في عنوانِها ذكر الرّمز الصّوفي ضمنًا، وذكر فيه ستة دراسات هي: (اللّغة الصّوفية ومصطلحاتها في شعر ابن الفارض، للباحث وحيد بمهري، شعريّة المشهد عند عفيف الدّين التلمساني، للباحث توفيق مساعديه، بنيّة الخطاب الصّوفي خلال الفتوحات المكية، للباحث حسن صوالحيه، الصّورة الشّعريّة في ديوان أبي ربيع عفيف الدّين التّلمساني، للباحث خليل بن دعموش، أثر الفكر الصّوفي في أعمال باولو كوبلو، للباحث بكادي محمد، أثر الذّوق الصّوفي في الثّراء اللّغوي والأدبي، للباحث ميلود عزوز).

ثم خلُص في حديثه عن هذه الدّراسات بقوله: "فهذه بعض من عنوانات الرّسائل الجّامعية" (ماجد شاحوذ، ٩٧)، فالباحث لم يتناول جميع الدّراسات في هذا الجانب واكتفى بذكر بعضها نماذج لدراسته من دون الإشارة إلى العناوين الأخرى.

أمّا المبحث الثّالث والأخير من الفصل الثاني فتناول فيه "الرّمز الصّوفي في بحوث المجلات والدّوريات" أشار الباحث إلى قلة الدّراسات في هذا المجال مع كثافة مادتها العلميّة، جعل حديثه عنها في قسمين، الأول: البحوث التي ذكر في عنوانِها الرّمز الصّوفي صراحة، وذكر فيها أربع دراسات هي: (الرّمز في الأدب الصّوفي، د أحمد أمين، الرّمزيّة في الأدب الصّوفي، د أسعد أطلس، رموز الأعداد والحروف في شعر الشّيخ الأكبر ابن عربي، د. عبد الله محمود، المرأة في شعر ابن الفارض، د رشدي علي حسن).

والقسم الثّاني: البحوث التي ذكر في عنوانِها الرّمز الصّوفي ضمنًا، تناول فيها دراستين هما: (اللّغة التّأويليّة في شعر ابن الخلوف القسنطيني، د حياة معاش، مدخل إلى نظرية النّقد الصّوفي فجوات النّص وهندسة الخطاب، د أحمد حاجي).

اعتمد الباحث منهجيّة ثابتة في هذا الفصل من حيث تقسيم الدراسات وتناولها والحديث عنها فقد شرع في توضيحها واصفًا بإيجاز محتوى الدّراسة وتقسيماتها وفق المنهج الوصفي وفي هاتين الدّراستين يختم الباحث حديثه في الفصل الثّاني من الدّراسة.

أمّا **الفصل الثّالث** جاء بعنوان "الرّمز الصّوفي وفق المناهج النّقديّة" يتضمن ثلاثة مباحث جاء أولى مباحث هذا الفصل بعنوان "الأسلوبيّة" رصد فيه الباحث الأسلوبيّة بوصفها منهجًا نقديًا يمكن الاستعانة به وتطبيقه في الدّراسات التي تناولت الرمز الصّوفيّ موضع اهتمام الباحث ودراسته.

يقف الباحث على ثلاث دراسات تناولت الرّمز وفق منهج الأسلوبية هي: (الأسلوبية والصوفية، أماني سليمان، شعر عمر بن الفارض دراسة اسلوبية، رمضان صادق، التّائية الكبرى لابن الفارض دراسة أسلوبية، هشيار زكي).

وجاء المبحث الثّاني بعنوان "التّناص" بوصفه منهجًا مبنيًا على رؤيّة منفتحة على نصوص أخرى اعتمد عليه بعض الباحثين في تناول الرّمز الصّوفي، وذكر ثلاث دراسات هي: (تجليات التناص في شعر عفيف التلمساني، عبد الحميد جربوي، التناص في تائية ابن الخلوف، حياة معاش، العلاقات التّناصيّة في تائيّة ابن الحراق، بشار نديم).

أمّا المبحث الثّالث جاء بعنوان "التّأويل" بوصفه منهجًا يمكن توظيفه في الدراسات التي تناولت الأدب الصّوفيّ لا سيما الرّمز الصوفي وذكر في ذلك ثلاث دراسات هي: (الرّمزيّة والتّأويل في فلسفة ابن عربي، ساعد خميس، النص الصّوفي وسؤال التّأويليّة، عجيلك مودع، سلطة الرّمز بين رغبة المؤول وممكنات النّص، كعوان محمد).

أسهب الباحث في بداية حديثه عن المصطلحات "الأسلوبيّة، التّناص، التّأويل" إذ حاول تحديد مدلول المصطلحات بذكر كثير من التّعريفات وآراء النّقاء والباحثين القدامى والمحدثين التي قيلت فيها، فأرهق القارئ بتفصيلات يكاد يبتعد بها عن الرّؤيّة العامّة للمبحث فمثلا: استغرق ما يقارب أثنتا عشرة صفحة في حديثه عن مصطلح الأسلوبيّة وذكر في قوله: "ومن خلال بحثي في المصادر التي اهتمت ببيان الاسلوب وجدت نفسي أمام كم هائل من تلك المفاهيم، فقد تنوعت في توجهاتها،...". (ماجد شاحوذ، ١٠٨)، وكان بإمكان الباحث توضيح المصطلح بعرض موجز مع الإشارة في الهامش إلى المصادر التي ذكرت التعريفات الأخرى حتى يتخلص من الدّخول بتفصيلات حول المصطلح وليتسنى لمن يريد الاستزادة الرّجوع إليها.

لم يعتمد الباحث التّرتيب نفسه في تناول الدّراسات كما في المباحث السّابقة التي عرض فيها الدّراسات كل دراسة بنقاط فرعيّة واضحة، فقد جاء عرضه للدراسات في درج الكلام في هذا الفصل مما أحدث خللاً في التّرتيب أثناء القراءة.

وكان للباحث وقفات ورؤى نقديّة وضّح فيها كيفية الوقوف على النّص الصّوفي وبيان تعالقه مع النّصوص الأخرى وتتبع محتوى الدّراسات واصفًا المنهجيّة بموضوعيّة ليخوض بمعونة المصادر النّقدية وأسلوبه ورؤياه النّقديّة خطاب موضوعي ووصف قريب من نقد النّقد، فكانت له وقفات ورؤى تتسم بالتّحليل والنّقد والرّفض في مواضع عدة، وعادة ما يختم حديثه بإضاءات موجزة يبين فيها أهم ما استخلصه من الدّراسات في نهاية كل مبحث.

أمّا **الفصل الرابع** والأخير في هذه الأطروحة فقد جاء بعنوان "الرّمز الصّوفي وفق الإجراءات النّقديّة" وتضمن ثلاثة مباحث، الأول "الخطاب"، والثّاني "الخيال"، والثّالث "الصّورة الفنيّة" بوصفها من الجّوانب الإجرائيّة النّقديّة لدراسة الرّمز الصّوفيّ وقف الباحث في المبحث الأوّل على طبيعة الرّمز في الخطاب الصّوفيّ خلال جهود الباحثين المحدثين وتناول في ذلك ثلاث دراسات هي: (إشكاليّة التّلقي في الخطاب الصّوفي، أحمد الحاج لقوي، الدّلالة في لغة الصّوفيّة، زينة جليل عبد، بنية الخطاب الشّعري في الفتوحات، قدور رحماني).

وتناول في المبحث الثّاني ثلاث دراسات هي: (القضايا النّقدية في النّثر الصّوفي، وضحى يونس، تجليات الرّمز الصّوفي في ديوان ابن عربي، عبد الكريم الصالحي، ابن العربي المسافر العائد، ساعد خميس).

أمّا المبحث الثّالث الذي كان الأخير من الفصل الرّابع أخر فصول الدّراسة تناول فيه ثلاث دراسات هي: (الصّورة الفنيّة في الشّعر الصّوفي، نسرين ستار جبار، الأشكال الشّعريّة في ديوان الششتري، حياة معاش، أسلوبيّة التّصوير في شعر التّصوف، يوسف اسكندر).

استعرض الباحث في بداية حديثه عن مدلول المصطلحات "الخطاب، الخيال، الصّورة الفنيّة" لغة واصطلاحًا ثم تناول المفهوم الأدبي ثم أورد آراء النّقاد العرب القدامى والمحدثين، والخلاف بين النّقاد والباحثين حول مدلول المصطلحات واستمر في تحديد طبيعة العلاقة بين هذه الإجراءات وكيفية توظيفها في النّص الصّوفي لا سيّما ما يتعلق بالنّص الرّمزي، فكان لهذه الإجراءات أهميّة كبيرة في توظيف الرّمز، و يبدو إنّ الرّمز أفسح المجال لكل من (الخطاب، الخيال، والصورة)؛ لإداء وظيفة كل منهم وتقديم رؤية نقديّة لا تخلو من التّميّز، إلا أنّنا نلحظ إسهابه في الحديث عن هذه المصطلحات في صفحات كثيرة، فيما نجد أنَّ الأمر لا يتطلب ذلك.

سعى الباحث خلال حديثه عن نماذج الدّراسات في مباحثه إلى رصد الأجراءات النّقديّة والتّركيز على كيفيّة توظيفها لبناء نصٍ صوفيّ يحمل رموزًا وإيحاءات متعددة؛ لبيان خصوصيّة الرّمز في الخطاب الصّوفيّ، وإسهامه في خلق وتحقيق سحر الخيال، وكيفية تكوين صورة رمزيّة في النّصوص الصّوفيّة، وكان حديث الباحث في هذا الفصل حديث عام

استخلص فيه محتوى الدّراسات بشكل عام حاول ان يُفهم القارئ من خلاله محتوى الكتاب بصورة يسيرة أقرب إلى الإيجاز.

وقد خرج الباحث بعدّة نتائج توصّل إليها بعد إبحاره في دراسة الرّمز الصّوفي فجاءت الخاتمة لتحمل تقويم عام لكلّ الطّروحات التي جاءت في متن الأطروحة لاسيما ما يخصّ جهود المحدثين الدين تناولوا الرّمز الصّوفي في دراساتهم فقد ذكر الباحث تباين هذه الدّراسات وتباين المناهج والإجراءات النّقديّة التي وظفّها الباحثين في دراساتِهم وأنَّ تعدد وظائف الرّمز نابع من تعدد المناهج والإجراءات النّقديّة واقتران الجانبين الفني والفكري في توظيف الرّمز.

ومن خلال تتبع الدّراسة والاطلاع على فصولها ومباحثها يمكننا أنْ نسجل ما لاحظناه في الأطروحة بشكل عام بحديث ملخص موجز عن فصول الدّراسة ومباحثها ونبدأ أولاً بالعنوان الذي يمثل عنصرًا مهمًا في كل دراسة فأنَّ له أهميّة كبيرة في ترتيب مادة الدّراسة وتوزيعها في فصول ومباحث، والباحث في هذه الدراسة لم يكن دقيقًا في تسجيل عنوانه؛ إذْ يبدو العنوان واسعًا يوحي بالعموميّة لم يكن هناك تحديد للعيّنة التي تدخل ضمن الدّراسة، وهذا ما يجعل القارئ أمام عدد كبير من الدّراسات وكان بإمكانه التخلص من ذلك وذكر آلية اختيار العينة في المقدمة، أو كان بإمكانه وضع جدول يدرج فيه أسماء الدّراسات ومعلوماتها حتى يصبح القارئ على بيّنة عند الاطلاع عليها، وهذه الملاحظة نفسها تكررت في الفصول والمباحث؛ إذ اكتفى بإدراج بعض الدّراسات التي تناولت الرّمز الصّوفي من دون أن يستند إلى معايير علميّة واضحة في اختيار النّماذج.

وفي أكثر من موضع كان هناك تفاوت عند حديثه عن هذه الدّراسات، فقد تحدّث بشكل تفصيلي عن بعضها بينما يصِفُ موجزًا بعضها الآخر وهذا لا يتناسب مع البحث العلمي.

كذلك في حديثه عن بعض المصطلحات التي جاءت في بداية الفصول والمباحث، فقد كان هناك إسهاب غير نافع قد يخرج في بعض الأحيان عن حدود الموضوع ولاسيما في حديثه عن "الأسلوبية، التّناص، الصّورة الفنيّة".

وهناك ملاحظة عامّة في أسلوب الباحث لاحظنا أنَّه في أكثر من موضع لم يسند رأيه إلى مصدر فالباحث يطلق العنان لقلمهِ من دون اقتباس قول الباحث أو المؤلف، وقد اكتفى بتعليقاته وآراءه من دون الاقتباس أو الرّجوع إلى قول المؤلف الأصلي.

الخاتمة:

سعى الباحث بجهد كبير، للوقوف أمام النّص الصّوفيّ وبيان تعالقه مع النّصوص الأخرى، فقد تميزت النّصوص الصّوفيّة باحتوائها على أساليب التّكثيف والتّرميز والانزياح، وهذا يوضح امكانيّة قدرتها على إنتاج لغة متماسكة وإبداعيّة، قادرة على التّعبير عن أفكارهم وتصوراتهم الرّوحية، ولعل الولوج في هذا النّص يحتاج إلى باحث بارع لديه معلومات كبيرة يستطيع من خلالها التّعامل مع النّص الصّوفيّ وفك شفراته.

فالتّجربة الصّوفيّة تجول في خفايا الرّوح وفي عوالم غيبيّة لم تستكشفها اللّغة التي وضعت في الأصل لإيصال المفاهيم الحسيّة والقيم المعنويّة؛ إذ إنَّ النّصوص الصّوفيّة ابتكرت لغة خاصة، تميزت بالشّفافيّة والغموض، وشكّل الرّمز بؤرة دلاليّة، ترجم من خلاله الصّوفي ما يريد التّعبير عنه من أحوال ومكابدات.

المصادر والمراجع:

- الرّمز الصّوفي في الأدب العربي من خلال جهود المحدثين"، أطروحة دكتوراه للباحث أنس ماجد شاحوذ علي، جامعة بغداد، كليّة الآداب، ٢٠١٥.
- لسان العرب : ابن منظور ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي . ط (٣) ١٩٩٩ . باب النون : مادة نهج : الجزء، ١٢.
- المعجم الوسيط تأليف إبراهيم أنيس ، ط ٤، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤، مادة نهج.
- مقال: الإلهام في الكتابات الصّوفية روافد وتجليات وإشكالات، بقلم خالد التوزاني، مايو ٢٠١٥.
- مقال: المنهج الوصفي، تعريفه وخصائصه، مبتعث للدراسات والاستشارات الاكاديمية.

https://mobt3ath.com/dets.php?page=185&title=%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B5%D9%81%D9%8A%D8%8C_%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%87_%D9%88%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5%D9%87

- مناهج البحث العلمي، أ.د فريد صالح فياض (المحاضرة الأولى) آذار ٢٠٢٠.

https://md.carts.tu.edu.iq/images/%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC_%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A_1.pdf

- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧.
- مناهج البحث العلمي، محمد محمود الحيلة، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٢.
- منهج البحث الأدبي، دكتور علي جواد الطاهر، ط٣، مكتبة اللغة العربية بغداد شارع المتنبي، ١٩٧٤.

المنهج الوصفي، إعداد الطالب محسن التاجر، محاضرة في الأنسانيات والعلوم الإنسانية،

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B5%D9%81%D9%8A-pdf